

صناعة السلاح الأمريكية والإزمة المالية العالمية

US arms industry and The global financial crisis

الكلمة المفتاحية : صناعة السلاح

أ.م.د. كوثر عباس عبد الربيعي

مركز الدراسات الدولية والإستراتيجية – جامعة بغداد

Assistant professor. Dr. Khawther Abbas Abd Al- Rubaiy

Center for Strategic and International Studies- Baghdad University

E-mail: d_kawther@yahoo.com

ملخص البحث

تستدعي مناقشة موضوع الصناعات الحربية الأميركية وتأثيرها وتأثيرها بالأزمة المالية العالمية، التعرض للكثير من الموضوعات، ربما في مقدمتها القاء نظرة على موقع الصناعات العسكرية في الاقتصاد الأميركي ودور الجمع المالي الصناعي والفكري العسكري في تحديد الخيارات العسكرية والسياسية والاقتصادية، فضلاً عن دور صفقات السلاح الكبيرة مع العديد من دول العالم في تجاوز الأزمة المالية.

وتطرح السياسات الأميركية وخاصة في جانبيها العسكري والاقتصادي العديد من التساؤلات، وفي مقدمتها التساؤل حول من يدعم من؟ أهو الاقتصاد القوي الذي يقف وراء تقوية الدعامات العسكرية للدولة الأميركية أم أن الولايات المتحدة تستغل إمكاناتها العسكرية المتفوقة في إدامة ريادتها الاقتصادية العالمية وفتح الطريق امامها للحصول على المكاسب الاقتصادية عبر استخدام القوة العسكرية؟ وتؤكد الوقائع أن الولايات المتحدة الأميركية بوصفها أكبر البلدان المصدرة للأسلحة، تستخدم المبيعات العسكرية الخارجية ليس فقط لتوسيع النفوذ السياسي، بل لتكون أيضاً بديلاً عن الوجود العسكري الأجنبي المباشر. فعلى الرغم من التكاليف العالية للمعدات أميركية الصنع، إلا أن حصتها في السوق تتوسع عاماً بعد عام، وحتى في السنوات القليلة الماضية عندما تقلصت سوق الأسلحة على الصعيد الدولي، فإن مكانة الولايات المتحدة الأميركية الدولية جعلت مبيعاتها من الأسلحة في ارتفاع مستمر. وتقدم الصناعات العسكرية في الولايات المتحدة نموذجاً فريداً للعلاقات التبادلية بين المؤسسات التنفيذية والتشريعية والمؤسسة العسكرية، كما أن تطور صناعة السلاح رافقته تطورات في ميادين أخرى، ولاسيما على صعيد وضع الخطط الإستراتيجية والدراسات، إلى جانب تنشيط البحث والتطوير، في مجالات التقنية والعلوم المختلفة، وفي إيجاد فرص عمل واسعة وفي التنمية الاقتصادية. وقدمت الأزمة المالية في الولايات المتحدة فرصة للصناعات العسكرية في إنقاذ الاقتصاد وتقديم فرص لمواجهة الأزمة، ليس فقط عبر زيادة الإنفاق

العسكري وإنما عبر توسيع سوق السلاح الأميركي وإيجاد منافذ جديدة لتسويقه وتطوير الإنتاج.

المقدمة

عانت الولايات المتحدة الأميركية ومعها العالم، من تأثيرات الأزمة الاقتصادية التي عصفت بأسواق المال الأميركية في عامي ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨، وامتدت آثارها حتى الوقت الراهن، وباتت تستنفذ قدراتها الاقتصادية. وفي الوقت الذي رأى البعض في هذه الأزمة حدثاً دورياً تعاني منه الاقتصاديات الرأسمالية، وهو فرصة لتجديد الآليات الاقتصادية وإعادة عجلة الاقتصاد إلى الدوران مجدداً، يرى البعض الآخر في الأزمات الاقتصادية فرصة للتعجيل بأهيار النظام الرأسمالي والدولة العظمى القائدة لهذا الاقتصاد وهي الولايات المتحدة الأميركية.

وقد أدت الأزمة إلى تأثير معظم القطاعات الاقتصادية الأميركية وإن بنسب متفاوتة إلا أن أهم الصناعات الرأسمالية وهي صناعة السلاح والصناعات الحربية عموماً، طرحت نفسها سفينة إنقاذ للاقتصاد الموشك على الغرق، إذ تعد صناعة السلاح أكبر ممول للاقتصاد الأميركي، وازدهارها يعني حماية الاقتصاد من الانهيار السريع ويعطيه فرصة لإعادة ترتيب الأوراق والنهوض بالقطاعات الأخرى وصولاً إلى تجاوز الأزمة.

إن مناقشة موضوع الصناعات الحربية الأميركية وتأثيرها وتأثيرها بالأزمة المالية العالمية، يستدعي التعرض للكثير من الموضوعات، ربما في مقدمتها القاء نظرة على موقع الصناعات العسكرية في الاقتصاد الأميركي ودور الجمع المالي الصناعي – الفكري العسكري في تحديد الخيارات العسكرية والسياسية والاقتصادية، فضلاً عن دور صفقات السلاح الكبيرة مع العديد من دول العالم في تجاوز الأزمة المالية.

وتنطلق فرضية الدراسة من أن الصناعات العسكرية الأميركية وأن تأثرت نسبياً بالأزمة المالية العالمية فإنها كانت الاقل تأثراً، وكان لها الدور الاكبر في تجاوز الأزمة، وارتبط ذلك بقرارات استراتيجية على اعلى المستويات في الدولة الأميركية.

وتشتمل هذه الدراسة على ثلاثة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة

المبحث الأول: الأزمة المالية في الولايات المتحدة وتأثيراتها في الجوانب العسكرية.

المبحث الثاني: المجمع المالي -الصناعي - الفكري العسكري والقرارات الإستراتيجية في إدارة الأزمة الاقتصادية.

المبحث الثالث: تجارة الاسلحة الأميركية في سوق العرض والطلب.

المبحث الاول

الأزمة المالية في الولايات المتحدة وتأثيراتها في الجوانب العسكرية

يحمل الاقتصاد الأميركي الكثير من مقومات القوة ويعد الأساس الأكثر متانة الذي قامت عليه قوة الولايات المتحدة كدولة عظمى خلال القرن العشرين واستندت إلى معطيات جغرافية وبشرية وتكنولوجية. وارتبطت عملية تطوير القوة العسكرية الأميركية بالتطور الاقتصادي لهذه الدولة. ومع نهايات الحرب الباردة بلغ الإنفاق الدفاعي في عام ١٩٨٨ نحو ٢٥٣ مليار دولار سنوياً، مع وجود ٣٧٤ قاعدة عسكرية في الخارج، إلى جانب قوة ردع نووي، وقد كان الإنفاق الحربي متغيراً اقتصادياً داخلياً ضاغطاً على الاقتصاد الأميركي. ومع تزايد المديونية الخارجية تزايدت الدعوات لتخفيض الإنفاق العسكري، الذي يوصف بأنه سيف ذو حدين، فهو عامل أساس في استمرار الهيمنة باعتباره وسيلة استمرار التفوق العسكري، وتدعيم القدرة الصناعية العسكرية ومن ثم ميزان المدفوعات الأميركي. وفي الجانب الآخر يمثل مصدر استنزاف للقدرة المالية والاقتصادية الأميركية، خاصة خلال فترة الحرب الباردة، التي دامت نحو نصف قرن، وانتهت بانتهاء الإتحاد السوفيتي وتفاقم الأزمة الاقتصادية الأميركية^(١).

لقد كان الإنفاق الدفاعي في عام ١٩٨٠ يبلغ ١٣٠.٢ مليار دولار، وارتفع في عام ١٩٩٠ إلى نحو ٣١٤ مليار دولار، ويرى الأميركيون أن بلادهم حصلت على ٦٠ مليار دولار تقريباً على شكل تصدير خدمة (شهر حرب) في عام ١٩٩١، عندما شنت عدوانها على العراق، وأن تلك الغنيمة سببت تحسناً مؤقتاً في الحساب التجاري للولايات المتحدة، وأن ذلك الأمر ارتبط بانتهاء قبض دفعات تلك الحرب، وبعدها يعود العجز الأميركي مجدداً^(١) وهو ما حدث فعلاً. وتراجع الإنفاق الدفاعي إلى نحو ٢٥٠ مليار دولار في عام ١٩٩٥. وقد

بلغت النفقات العسكرية الأميركية ادني مستوياتها في عام ١٩٩٩، إلا أن السنوات ما بعد عام ٢٠٠١ شهدت زيادة مضطردة في الإنفاق العسكري بلغت نحو ٤١%، حيث ارتفعت نفقات الدفاع القومي بمعدل ١٠% سنوياً، وتعكس تلك الزيادة الاعتماد الإضافي لتمويل العمليات العسكرية الأميركية في أفغانستان والعراق، فضلاً عن النفقات العسكرية المعتادة^(٢). وتواجه القوة العسكرية الأميركية العديد من المشكلات فضلاً عن المشكلة الداخلية المتعلقة بالمرود المالي والاقتصادي للإنفاق العسكري، وتتمثل في الجدل حول الدور الأميركي في حلف شمالي الأطلسي وفي الدفاع عن أوروبا واليابان وغيرها من القضايا الدولية والأزمات. وكما هو معروف يعد الاقتصاد الأميركي أكبر اقتصاد في العالم ولا يجادل في ذلك أحد، وما زال الدولار العملة الأولى دولياً وبه تقاس العملات الأخرى، وإذا ما تعرض الاقتصاد الأميركي لأية أزمة وفي أي من قطاعاته فإن الأمر المنطقي أن يتسع نطاق الأزمة إلى خارج الولايات المتحدة، كما حدث في أزمات سابقة في القرن الماضي.

وفي الزمن الراهن وفي ظل عالم معولم تتشابك فيه حلقات الاقتصاد والمصالح وتتعدد، فإن الأزمة التي حلت في القطاع المالي والمصرفي الأميركي، قادت إلى أزمات في دول أخرى ارتبطت عضويًا بالاقتصاد الأميركي وتوالت تداعياتها على النظامين الاقتصادي والمالي العالميين كما يخشى العالم زيادة تلك المخاطر بفعل استمرار التطورات السلبية التي ما زالت الولايات المتحدة عرضة لها مما يعاني تصاعد الضغوط على المؤسسات المالية في دول العالم كافة.

وكان من بين أبرز مظاهر التراجع في الداخل الأميركي ظهور بواذر الكساد الاقتصادي، الذي أعلن رسمياً في نهاية عام ٢٠٠٨، وظهر التراجع في الاقتصاد الأميركي
بـ _____ :

أولاً: ارتفاع نسبة الدين الحكومي إلى الناتج القومي^(٣): ويعزى النمو الهائل في حجم الدين خلال تلك الفترة إلى أحداث الحادي عشر من أيلول /سبتمبر ٢٠٠١، وما أعقبها من إجراءات وسياسات اتخذتها الولايات المتحدة، داخلياً وخارجياً وفي المقدمة منها شن الحرب

على العراق وأفغانستان، وما استنزفته من أموال، مما كان له أثر بالغ في تزايد حجم الأنفاق العسكري وتصاعد العجز في الميزانية.

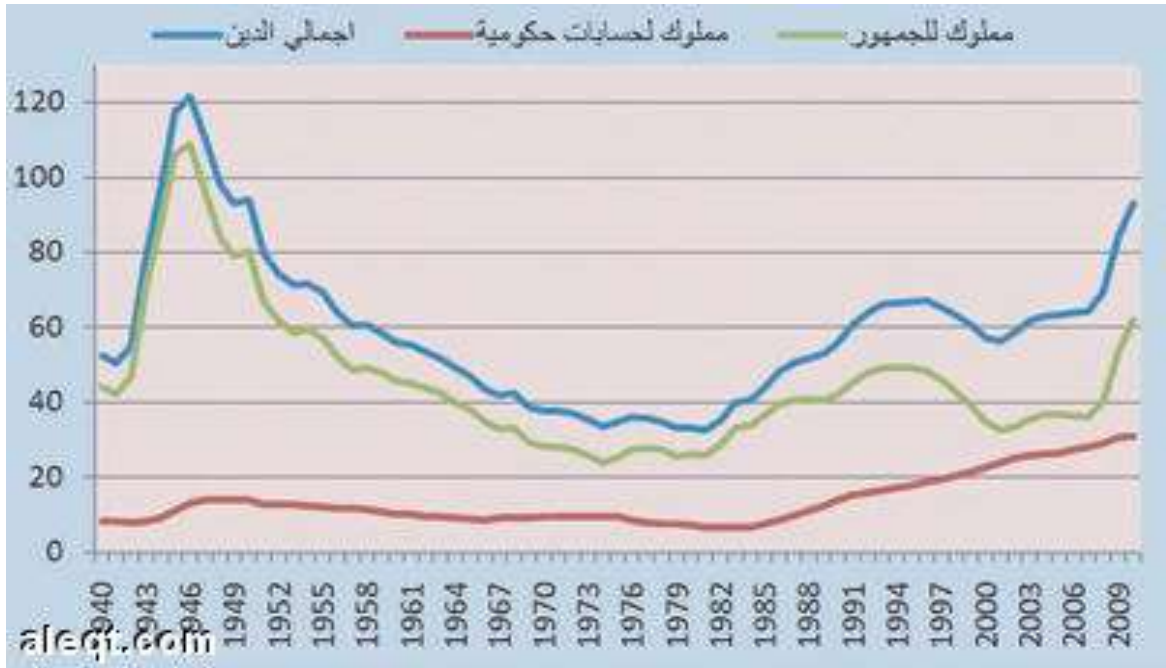
كذلك فإن السياسة التي انتهجتها الولايات المتحدة للخروج من الأزمة المالية، وصرفها للمزيد من الأموال، وبرامج التحفيز المالية والنقدية التي اتخذتها للخروج من الأزمة، ضاعف من عجز ميزانيتها. وكان لزلزال اليابان، والتغيرات في المنطقة العربية أثر في اتخاذ الحكومة لإجراءات لوضع ميزانية لمواجهة الكوارث، وهو يعد إجراء لا مفر منه. كما أن تحمل الحكومة الأميركية لتسديد تكاليف الرعاية الطبية الكاملة، وتخفيض الضرائب، والإجراءات التي اتخذتها لمكافحة التضخم أثر بالغ الأهمية في زيادة العجز في ميزانيتها وتزايد حجم الديون.

وقد بلغ الدين الحكومي الأمريكي حسب إحصاءات وزارة الخزانة الأميركية ٤,٣ ترليون دولار في عام ١٩٩٠ ووصل إلى ٥,٦٧ ترليون دولار في عام ٢٠٠٠ م ثم إلى ٨,٩ ترليون دولار في عام ٢٠٠٧، مما رفع نسبة الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي إلى ٦٤% مما أدى إلى إمكانية تصنيف الولايات المتحدة ضمن الدول التي تعاني بشدة بسبب ديونها العامة، ثم إلى أكثر من عشرة تريليونات دولار في عام ٢٠٠٨ أي ما يقرب من إجمالي الناتج القومي وكان مؤشراً خطيراً على مسار الاقتصاد وعبئاً على مستقبل الاقتصاد في المدى القصير^(٤) وفي العام ٢٠١٠ بلغت الأرقام الفعلية لإجمالي الدين العام الأمريكي ١٣,٥٢٨ ترليون دولار، منها ٩,٠١٨ ترليون دولار ديون مملوكة بواسطة الجمهور، و٤,٥٠٩ ترليون دولار ديون مملوكة للحسابات الحكومية، وهو ما يعني أن نحو ثلثي الدين العام الأمريكي مملوك بواسطة الجمهور، والثلث الآخر مملوك بواسطة الحسابات الحكومية، وبلغت تقديرات الدين العام الأمريكي في عام ٢٠١١ نحو ١٤,٥ ترليون دولار^(٤). علماً بأن سقف الدين الأمريكي العام يبلغ ١٦,٤ ترليون دولار، وقد تم التوصل إلى تسوية بين الرئاسة والكونغرس في ٣١ تموز/يوليو ٢٠١١ ترفع سقف الدين الحكومي من ناحية، مما يجنب الحكومة التخلف عن سداد الديون، وتخفيض النمو نمو الدين الحكومي من جانب آخر. كما تمت موافقة الكونغرس الأمريكي ثانية على زيادة سقف الدين الحكومي في شباط/فبراير من

العام ٢٠١٣ من أجل تمويل عجز الميزانية السنوي البالغ تريليون دولار. انظر الشكل البياني رقم (١) الذين يبين كيفية تطور الدين العام الأمريكي:

شكل رقم (١)

يوضح تطور الدين العام الأمريكي منذ الحرب العالمية الثانية وحتى عام ٢٠٠٩



المصدر: محمد إبراهيم السقا، الدين العام الأمريكي، صحيفة الاقتصادية، الرياض (المملكة العربية السعودية)، في ٢٢ يوليو ٢٠١١ العدد ٦٤٩٣.

وحسب اخر تقرير للدين الأمريكي والذي صدر عن وزارة الخزانة الأمريكية في ٦/٢٠/٢٠١٣ فقد تجاوز حجم الدين ١٦ ترليون دولار وحسب ما يظهر في الجدول رقم (٢).

جدول رقم (١) يظهر التقرير اليومي للدين الأميركي حسب وزارة الخزانة الأميركية

اليوم	الدين العام	الدين الحكومي	إجمالي الدين
07/03/2013	11,925	4,812	16,738

المصدر: موقع وزارة الخزانة الأميركية على الرابط:

<http://www.treasurydirect.gov/NP/debt/current>

ثانياً: تراجعاً في حجم السيولة النقدية وفي حجم الاحتياطيات الفيدرالية من العملات العالمية، بفعل ارتفاع النفقات على الإيرادات وحصول تراجع مستمر في حجم التجارة الخارجية الأميركية، باستثناء مبيعات السلاح الأميركي التي تصاعدت في هذه الحقبة.

وكما يرى الخبير الاستراتيجي ريتشارد هاس (رئيس مركز العلاقات الخارجية الأميركي) فإن السياسة الاقتصادية الأميركية والنفقات التي زادت نتيجة الحربين التي شنتهما الولايات المتحدة على العراق وأفغانستان قد ساهمت في تراجع مركز الولايات المتحدة المالي من فائض في الموازنة ١٠٠ مليار عام ٢٠٠١ إلى عجز ٢٥٠ ملياراً عام ٢٠٠٧. وهذا التراجع أدى إلى مزيد من الضغط على الدولار وتحفيز التضخم والمساهمة في تراكم الثروة والقوة في أماكن أخرى من العالم^(٥).

وتشغل النفقات العسكرية نسبة مهمة في الاقتصاد الأميركي وهي في تصاعد مستمر حتى مع الأزمة الاقتصادية الحالية، ولم تتمكن الحكومات الأميركية المتعاقبة من السيطرة عليها، ويبدو أن الأزمة المالية التي كان الإنفاق العسكري الكبير أحد أسبابها الرئيسة ربما تكون دافعاً لإعادة نظر في الإنفاق العسكري الأميركي الواسع.

ويأتي إقرار وزارة الدفاع الأميركية على لسان الوزير الأسبق روبرت غيتس بأنه: "بدأ إغلاق حنفية تمويل الدفاع التي فتحت في ٩/١١" وبأن ضغوط الميزانية الناجمة عن الأزمة المالية ستفرض على القوات المسلحة "خيارات صعبة"، ليعيد طرح قضية النفقات العسكرية بحدة^(٦). ولكن على الرغم من ذلك بقي الإنفاق العسكري الأميركي يتقدم على ما عداه، وتبنى البيت الأبيض مهمة الدفاع عن إبقاء الميزانية العسكرية على حالها مع تخفيضات طفيفة،

بل أن الرئيس باراك اوباما شدد على أن موازنة الدفاع ستستمر في الزيادة قائلاً: تقع على عاتقنا مسؤوليات عالمية تتطلب قيادتنا"^(٧) واذف : "نعم، سوف يكون جيشنا أصغر حجماً، لكن العالم يجب أن يعرف أن الولايات المتحدة تسير على الحفاظ على التفوق العسكري لدينا، مع القوات المسلحة التي هي رشيقة ومرنة ومستعدة للنطاق الكامل من الطوارئ والتهديدات"^(٨) وفي الجدول الآتي عرض للإنفاق العسكري الأميركي منذ عام ٢٠٠٠ حتى عام ٢٠١٣ وكذلك النسبة المئوية للإنفاق من الناتج الإجمالي المحلي، بمليارات الدولارات الأميركية. (انظر جدول رقم ٢)

جدول رقم (٢)

حجم الإنفاق العسكري الأميركي ونسبته إلى الناتج المحلي الإجمالي للأعوام ٢٠٠١-٢٠١٣

السنة	٢٠٠١	٢٠٠٥	٢٠٠٧	٢٠٠٩	٢٠١١	٢٠١٢	٢٠١٣
وزارة الدفاع: نفقات عسكرية	٢٩٠,٢	٤٧٤,١	٥٢٨,٥	٦٣٦,٧	٦٧١,١	٦٨٨,٣	٦٧٢,٨
العسكريون	٧٤,٠	١٢٧,٥	١٢٧,٥	١٤٧,٤	١٦١,٦	١٥٦,٢	١٥٥,٩
مشتريات	٥٥,٠	٨٢,٣	٩٩,٦	١٢٩,٢	١٢٨,٠	١٣٩,٩	١٢٤,٦
البحث والتطوير	٤٠,٥	٦٥,٧	٧٣,١	٧٩,٠	٧٤,٩	٧٥,٩	٧١,٨
نفقات أخرى لوزارة الدفاع	٨,٨	١٠,٥	١١,٦	٢١,٨	٢٢,٥	٢١,٨	٢٦,٥
الطاقة الذرية (الدفاع)	١٢,٩	١٨,٠	١٧,١	١٧,٦	٢٠,٤	١٩,٨	٢٠,٧
نفقات متصلة بالدفاع	١,٦	٣,٢	٥,٧	٦,٨	٧,٢	٨,٣	٨,٢
النفقات الدفاعية الوطنية الإجمالية	٣٠٤,٧	٤٩٥,٣	٥٥١,٣	٦٦١,٠	٧٠٥,٦	٧١٦,٣	٧٠١,٨
النسبة المئوية للنفقات إلى إجمالي الناتج المحلي	٣,٠	٤,٠	٤,٠	٤,٧	٤,٧	٤,٦	٤,٣
النسبة المئوية للنفقات من النفقات الحكومية الإجمالية	١٦,٤	٢٠,٠	٢٠,٢	١٨,٨	١٩,٦	١٨,٩	١٨,٥

المصدر: اليزابث سكونر وسام بيرلو - فريمان، الإنفاق العسكري الأميركي وازمة موازنة ٢٠١١، من بحوث كتاب التسليح ونزع السلاح والأمن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠١٢، معهد ستوكهولم لأبحاث السلام العالمي، ترجمة مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٢٢٨.

إن تأثير الزيادة في الإنفاق العسكري الأميركي، يرتبط بشكل واضح بطريقة تمويله، وقد استخدمت الإدارة الأميركية في فترة ولاية جورج ووكر بوش، أسلوباً مختلفاً عن الإدارات السابقة في تمويل الإنفاق العسكري، إذ تم التمويل بشكل أساسي عن طريق الاقتراض، ولجأت الحكومة إلى الاقتراض لتمويل الحربين في العراق وأفغانستان، مما أدى إلى تحول مؤثر في الميزانية وبعد أن كان هناك فائض سنوي بلغ ٢٦ مليار دولار في السنة المالية ٢٠٠٠، عانت الميزانية من عجز بلغ ٤٠٧ مليار عام ٢٠٠٩. ونتيجة للعجز الكبير في الميزانية تضاعف الدين الوطني الأميركي تقريباً من ٥,٦ تريليون دولار في سنة ٢٠٠٠ إلى ما يقدر بـ ١٠,٤ تريليون دولار في السنة المالية ٢٠٠٩، أي ما يعادل ٦٩% من إجمالي الناتج المحلي الأميركي. وعلى الرغم من أن زيادة الميزانية العسكرية لم تكن العامل الوحيد وراء عجز الميزانية والدين الوطني إلا أنها أسهمت بدور كبير في ذلك^(٩).

إن الضعف الذي يصيب الاقتصاد الأميركي لا بد له من أن ينعكس على قدرات القوات المسلحة والدعوات المتكررة لتقليص الإنفاق العسكري لتجاوز الأزمات المالية تجابه بمقاومة أكثر من طرف في مقدمتها الرئيس الأميركي والبنتاغون والجمع الصناعي العسكري. وبالمقابل فإن زيادة الإنفاق العسكري الأميركي من أجل تأمين حماية الحلفاء وخاصة الدول الأعضاء في حلف الناتو تعني إمكانية اهتمام الأوروبيين بتطوير الرعاية الصحية والتعليم والبنية التحتية، بينما يثقل على دافع الضرائب الأميركي ومن ثم يؤدي إلى حالة معارضة شعبية، قد تقود إلى تقليص الإنفاق مجدداً وإضعاف القدرات العسكرية.

وعلى الرغم من كل التوقعات بتخفيضات كبيرة في الميزانية العسكرية الأميركية فإن حجم التخفيض كان متواضعاً، لاسيما بعد أن حدد البيت الأبيض ووزارة الدفاع في مطلع عام ٢٠١٢ توجهات الاستراتيجية الأميركية وتحديد أولويات الدفاع والإنفاق للأعوام ٢٠١٢ حتى ٢٠٢١، فكان التركيز على مهمات مكافحة الإرهاب والحرب غير المنظمة، والردع والدفاع وقدرات عرض القوة في مواجهة قوى غير متكافئة، مثل الصين وإيران، والقدرات التنفيذية المتطورة والفعالة في الفضاء الإلكتروني والفضاء. وعلى الرغم من ذلك

اشتمل التوجيه الاستراتيجي على مقترحات لتخفيضات في القوات البرية التقليدية الأميركية والمنظومات الرئيسة التي كانت مصممة للحرب الباردة^(١٠).

عموماً فإن الامكانيات الاقتصادية الهائلة للولايات المتحدة حفزتها دائماً على تطوير قدراتها العسكرية لتكون الضمانة لحماية المصالح الاقتصادية والرادع لكل من يحاول المساس بتلك المصالح. فقد بات واضحاً أن استمرار الدور العسكري الأميركي على حاله أو توسيعه، لا يتفق مع اوضاع الاقتصاد المتأزم والمتراجع نسبياً، كما أنه يطرح في الوقت ذاته مشكلات مضافة في الجانب الاقتصادي، فالولايات المتحدة تستخدم القوة العسكرية لخدمة الاقتصاد وتشكل الحروب والمبيعات العسكرية مصدر دخل مهم للاقتصاد الأميركي. ومن هنا فإن الجمع الصناعي العسكري في الولايات المتحدة يدخل طرفاً مهمة في كل من جانبي الازمة.

المبحث الثاني

المجمع المالي والصناعي والفكري العسكري

والقرارات الإستراتيجية في إدارة الأزمة الاقتصادية

كانت الحرب العالمية الثانية من اخطر المنعطفات في تاريخ الولايات المتحدة وأدت إلى نقلة غير مسبوقة على الطريق الاقتصادي، وعلى الرغم من تعدد الأسباب فان الطرف الموضوعي متمثلاً بالحرب وتداعياتها أثر كثيراً على الصناعات الحربية الأميركية وجعلها العنصر الأكثر فاعلية في الاقتصاد الأميركي واستمر هذا التطور إلى يومنا هذا ليجعل الأطراف المعنية بالصناعات العسكرية وما ارتبط بها من خدمات عنصراً مؤثراً في الحياة الاقتصادية والسياسية الأميركية.

ففي مطلع الحرب العالمية الثانية كان القوات العسكرية الأميركية متواضعة في العدد والعدة، اذ كان الجيش يضم نحو ثلاثمائة ألف مقاتل، ويعاني من نقص كبير في التجهيزات والأسلحة. وفي ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٤١، وافق الكونغرس الأميركي لأول مرة على إقرار التجنيد الإجباري في زمن السلم، وتم تجنيد ١,٦ مليون رجل تتراوح أعمارهم بين العشرين والخامسة والثلاثين. ووافق الرئيس فرانكلين روزفلت (١٩٣٣-١٩٤٥) على إرسال خمسين مدمرة إلى بريطانيا مقابل تأجير بريطانيا للولايات المتحدة عددا من القواعد على أراضيها لمدة خمسين عاماً. ومن جانبه أقر الكونغرس قانون الإعارة والتأجير في ١١ آذار/مارس ١٩٤١ لدعم الحلفاء في الحرب، وقد بدأ برنامج الإعارة والتأجير بتخصيص مبلغ سبعة مليارات ليتضاعف إلى أكثر من خمسين ملياراً^(١).

وشهد الاقتصاد الأميركي يومها ثورة حقيقية إذ منحت الحكومة عقوداً عسكرية تجاوزت قيمتها ١٠٠ مليار دولار خلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٤٢ بما يزيد على

اجمالي الناتج القومي لتلك السنة. وخلال سنوات الحرب بلغ الانتاج الأميركي ٦٥٠٠ سفينة حربية، و٢٩٦٤٠٠ طائرة، و٨٦٣٣٠ دبابة، و٦٤٥٤٦ زورق انزال، و٣,٥ مليون سيارة جيب وشاحنة وناقلة افراد، و٥٣ مليون طن من الحمولات البحرية، و١٢ مليون بندقية ومدفع رشاش، و٤٧ مليون طن من قذائف المدفعية، فضلاً عن ملايين الأطنان من التجهيزات العسكرية من الملابس والأحذية والخيام والمستلزمات الطبية^(١٢).

وكان من النتائج المباشر للحرب العالمية الثانية، أن اصبح من التقاليد المتبعة أن يقوم الضباط ذوي الرتب العالية بمسؤوليات عسكرية - سياسية واسعة، كما هي الحال مع دوغلاس ماكارثر الذي حكم اليابان بصلاحيات شبه مطلقة. بينما لعب العديد من الضباط أدوار السفراء وشغلوا مناصب هامة في وزارة الخارجية، وكان دورهم دائماً مدعوماً بصلاحيات واسعة وإمكانات إنفاق لا تقدر على تأمينها وزارة الخارجية^(١٣).

وترافق تنامي النشاط الصناعي وارتباطاته بالقيادات العسكرية، مع تصاعد التأثير السياسي لرأس المال الأميركي وتحالفاته مما اثار قلق واحد من أشهر رؤساء الولايات المتحدة، هو دوايت أيزنهاور (١٩٥٣-١٩٦١) الذي كان قبل توليه الرئاسة قائداً للجيش الأميركية وجيوش الحلفاء في المعارك الحاسمة ضد ألمانيا وإيطاليا. إذ حذر أيزنهاور من وصول تلك المجموعة إلى مواقع التأثير المعنوي والسياسي والعملي على القرار الأميركي مستعينة بنتائج الثورة التكنولوجية التي تزيد من قدراتهم وتمكنهم من السيطرة على برامج الإدارة ومخصصات إنفاقها، بما تتيحه لهم قوة المال من تأثير فادح التكاليف على مؤسسات الفكر والعلم^(١٤).

وعندما ألقى الرئيس الأميركي الأسبق أيزنهاور الخطاب الأخير مع انتهاء فترة ولايته، كان من اللافت في ذلك الخطاب تحذيره من خطورة الجمع الصناعي العسكري على الديمقراطية الأميركية، حين قال: "أن هناك مجموعة صناعية عسكرية مالية سياسية وفكرية تمارس نفوذاً غير مسبوق في التجربة الأميركية"^(١٥).

جاء تحليل أيزنهاور وهو العسكري المخضرم وقائد الجيش قبل أن يكون رئيساً للولايات المتحدة، ولم يكن الجمع الصناعي العسكري آنذاك إلا في بداياته، فكيف هي الحال بهذه

المؤسسة المؤثرة اقتصادياً وعسكرياً بعد أن تزايد عدد الشركات الأميركية المصنعة للسلاح، واتسع نطاق نشاطاتها واتسعت جغرافية مقراتها، وباتت تستعين بمراكز البحث والتطوير في زيادة التمكن من ادواتها والتدخل في القرارات الإستراتيجية للدولة الأميركية^(١٦).

ومن ابرز ما يميز قطاع الصناعات العسكرية أنه أشبه بقطاع عام، فقد حولت الولايات المتحدة عملية إنتاج الصناعات الحربية إلى عملية خاضعة للتخطيط المركزي، وفي هذا الإطار ظهرت في عام ١٩٤١ اللجنة الاستشارية للدفاع الوطني، ومكتب إدارة الإنتاج ومجلس الاعتمادات المالية. كذلك أسست إدارة فرانكلين روزفلت (مجلس الإنتاج الحربي) الذي تم تخويله الصلاحيات لجعل الاقتصاد الأميركي (آلة حرب)^(١٧).

ومع نهاية عام ١٩٤٢ أصبح مجلس الإنتاج الحربي اكبر الإدارات البيروقراطية في واشنطن في زمن الحرب، إذ بلغ عدد موظفيه خمسة عشر ألفاً. وكان يستهلك في اليوم الواحد من الورق ما يعادل ما تحتاج إليه دار للصحافة متوسطة الحجم^(١٨).

لقد أصبح المجمع المالي - الصناعي - العسكري - الفكري يجمع عناصر القوة : رأس المال والفكر في أن واحد، ولأن قلاع المصالح التقليدية والجديدة (وبضمنها المصارف وشركات التأمين والنقل والصناعات المدنية وصناعات السلاح والبتروول والفضاء والطيران والالكترونيات.. وغيرها) زادت من الاستعانة بخدمات الخبراء والمفكرين والدارسين للإستراتيجية العالمية والسياسة الدولية ممن يملكون كفاءة في التحليل والتقييم والاستشراف، فاستعانوا بالكثير من كبار المسؤولين السابقين في الإدارات الأميركية المتعاقبة. فضلاً عن ذلك كان الطرف الثالث في المعادلة العسكريون، ولذا فقد أصبح رؤساء الأركان السابقون والقادة البارزون في البحرية والطيران والصواريخ عناصر مضافة في مؤسسات البحث وخزانات التفكير، لتتحول تلك المؤسسات إلى موجه للقرار السياسي بما يخدم ذلك المجمع الكبير ولتكون مركز استقطاب للمسؤولين والعسكريين السابقين^(١٩).

كذلك فإن المؤسسة التشريعية متمثلة بمجلسي الشيوخ والنواب ومؤسسة الرئاسة بات الوصول إليها يتطلب انتماءً واضحاً لأصحاب الملايين، الذين يستطيعون تمويل حملاتهم

الانتخابية ذاتياً، أو بمساعدة محدودة من الأحزاب التي يمثلونها حتى أنه في العام ١٩٨٤ تدمر السناتور دانييل باتريك مونيهان من ذلك قائلاً: "نصف أعضاء مجلس الشيوخ في الأقل هم من اصحاب الملايين .. فقد أصبحنا طبقة ثرية حاكمة.. ومجلس شيوخ معد لتمثيل الولايات، فعوضاً عن ذلك، هو يمثل مصالح طبقة معينة"^(٢٠).

وتمثل نفقات الدفاع القسم الأكبر من النفقات العامة في الميزانية، إذ تبلغ ٢٠% من الناتج القومي مما يؤكد دور القطاع العام في الاقتصاد الأميركي. وتبلغ قيمة النفقات التي تستفيد منها الشركات الصناعية العسكرية بأكثر من ٤٠٠ مليار دولار سنوياً، مصدرها المباشر الحكومة، والمصدر غير المباشر من صناديق التقاعد. وبلغ نفوذ تلك الشركات حداً بات فيه تنعم بحقوق المواطنة كافة، دون أن تحمل أي عبء أو مسؤولية، وجمعت من الثروة والإمكانات المادية ما يكفي لاختراق المؤسسات الحكومية والإدارات كافة^(٢١).

كما ترتبط صناعة النفط الأميركية بصناعة المتعهدين في مجال الدفاع بشكل كبير، وبسبب أهمية الامتيازات النفطية في منطقة الشرق الأوسط، فإن صناعة الطاقة تراهن بشكل استثنائي على القوات المسلحة الأميركية والسياسات الدبلوماسية في المنطقة. وتوفر الشركات المتخصصة بالشؤون العسكرية والإنشاءات المدنية ما وراء البحار الرابط بين المركب العسكري الصناعي الأميركي وصناعة النفط. وأكثر الشركات أهمية في هذا المجال شركة (بتشل) التي تملكها عائلة لعبت ادواراً سياسية، في العصر الحديث، ومن بين الرسميين الأميركيين الذين عملوا لصالحها (كاسبر واينبرغر) وزير الدفاع في إدارة رونالد ريغان ووزير خارجيته (جورج شولتز)^(٢٢).

وكان التداخل بين صناعات الدفاع والطاقة أكثر وضوحاً في الولاية الثانية لجورج ووكر بوش، فكان الرئيس بوش ونائبه ديك تشيني مديرين في صناعة النفط في تكساس، كما مولت شركة أنرون أكبر شركات الطاقة في الولايات المتحدة حملة بوش الرئاسية، وحصلت شركة (هالبرتون دريسر انداسترايز) على عقد هام اثر احتلال العراق يسد من عائدات

الضرائب الأميركية، بينما كان الجنرال جاي غارنر (الذي رشح حاكماً للعراق قبل تعيين بول بريمر) ضابطاً عسكرياً متقاعداً عمل لصالح متعهد في مجال الدفاع^(٢٣).

وقد تعرض دور العسكريين في السياسة الأميركية إلى انتكاسة بعد الإذلال الذي تعرضت له المؤسسة العسكرية في حرب فيتنام، إلا أن قيام الحرب ضد العراق في عام ١٩٩١، وما أسفرت عنه من تقدم كبير في الإمكانيات العسكرية الأميركية، أعاد دور العسكريين إلى الواجهة من جديد، وفي بلد اعتاد تقديم شخصيات مدنية لمنصب الرئيس مع بعض الاستثناءات في مراحل سابقة، فاحتل العسكريون المناصب الأخرى، وبات هناك ميل واضح بعد انتهاء الحرب الباردة لكي يحل الضباط محل المدنيين في تنفيذ السياسة الخارجية لبلادهم، وإذا كان المدنيون قد حافظوا على مواقعهم كمخططين للإستراتيجية عموماً، لكن على الخط الثاني قدم الجيش المهندسين الذين حولوا المخططات إلى حقيقة. ويعد المؤرخ الأمريكي اندرو باسيفيش أن ظهور طبقة جديدة من الحكام العسكريين الجدد مجرد واحد من التطورات التي جعلت عقد التسعينات من القرن العشرين الفترة الأكثر استثنائية في تاريخ العلاقات العسكرية – المدنية الأميركية^(٢٤).

ومن ابرز الأمثلة في هذا المجال الدور الذي قام به الجنرال كولن باول، بعد قيادته لرئاسة الأركان في حرب الخليج الأولى، في العام ١٩٩١، إذ عدّ في حقبة رئاسة بيل كلنتون ثاني أقوى شخصية في واشنطن، حتى انتهاء تكليفه بالمنصب في عام ١٩٩٣ وقد استخدم ذلك النفوذ لمعارضة الكثير من قرارات الرئيس لاسيما قضية التدخل في حرب البلقان^(٢٥).

إلا أن كولن باول الذي تولى حقيبة الخارجية في إدارة جورج ووكر بوش (٢٠٠١-٢٠٠٩) لم يستطع الابقاء على شعبيته بعد أن قام بوش بتحييد دوره وتقريب أشخاص مثل (دونالد رامسفيلد) وزير الدفاع والذين كانوا يجسدون أسلوب بوش (العنف والصخب) بشكل ملموس، واعتقدوا أن باول شخصية ضعيفة وغير مناسبة^(٢٦). فمع وصول المحافظين الجدد إلى السلطة مع تولي الرئيس بوش الرئاسة في الولايات المتحدة، كان على الإدارة القيام بإجراء تغيير جذري في المؤسسة العسكرية الأميركية، وقد فوض بوش وزير دفاعه (دونالد

رامسفيلد) للقيام بما أطلق عليه (إعادة تقييم إستراتيجية) لكنه واجهت ذلك مشكلتان رئيستان الأولى تمثلت بمحدودية الميزانية مع تصاعد الدعوات لتخفيض الإنفاق الحكومي، لاسيما وأن الرئيس بوش تعهد بإقرار مرسوم يقضي بإجراء تخفيض ضريبي مقداره ١,٣٥ ترليون دولار على الأولويات الداخلية، ومع تعهد الإدارة بنشر نظام دفاعي صاروخي باليستي، مما حدّ من إمكانيات الإنفاق من أجل تطوير القوات المسلحة، ولم يستطع مكتب ميزانية البيت الأبيض المطالبة سوى بزيادة رمزية للإنفاق الدفاعي بلغت ١٨,٥ مليار دولار بدلا من ال ٩٠ مليار التي كان كبار المسؤولين في الدفاع يرون أنهم بحاجة إليها. أما المشكلة الثانية فتمثلت بالمقاومة الداخلية الحادة من المؤسسة العسكرية لعملية التغيير، وعندما كان المطروح عملية إعادة هيكلة الجيش بتخفيض بعض الوحدات، قاوم قادة الجيش مثل تلك المقترحات، وانتقد القادة العسكريون إدارة بوش لإخفاقها في تنفيذ وعودها بزيادة الإنفاق الدفاعي، ومن ناحية أخرى لعدم اهتمامها بآراء الجيش في أثناء عملية إعادة التقييم^(٢٧).

وجاءت الفرصة الذهبية مع وقوع أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ والهجمات التي طاولت مراكز القوة والسيادة الأميركية حيث عززت الدعوات للحفاظ على التفوق العسكري الصريح، وبدون مقاومة تذكر صوت الكونغرس الأميركي على أكبر زيادة في الإنفاق الدفاعي الأميركي منذ عقد من الزمن، فضلاً عن ذلك قدمت الحرب على الإرهاب التي أعلنتها إدارة بوش دفعا أكبر لعسكرة السياسة الأميركية، وتم اختيار العسكريين السابقين للعديد من المهمات المدنية، فتم تعيين الجنرال المتقاعد انتوني زيني مبعوثا امريكياً للمفاوضات الفلسطينية – الاسرائيلية للتسوية، وتم اختيار جنرال متقاعد اخر منسقا للأمن القومي، واصبح أحد الجنرالات المتقاعدين نائبا لوزير الامن الوطني^(٢٨).

ومنذ العام ٢٠٠٢ زاد نشاط شركات الصناعات الحربية مع قيام الولايات المتحدة بشن حربين في أفغانستان والعراق في عامي ٢٠٠١ و ٢٠٠٣، كما استطاعت الشركات الكبرى الاستحواذ على شركات صناعات عسكرية اصغر كما حدث في عام ٢٠٠٣ عندما استحوذت شركة (جنرتال داينمكس) على شركة (سيغنال كوربوروشين)، والتي كانت قبل

ذلك بعام اشترت شركة فريديان، كما استحوذت على شركة انتيون في سنة ٢٠٠٦ مما ادى إلى شطب ثلاث شركات من قائمة للشركات المائة الكبرى المنتجة للأسلحة^(٢٩).
ويقوم المجمع الصناعي العسكري على اعمدة عدة^(٣٠):
الاول: الذين يملكون شركات تصنيع الاسلحة والمعدات الحربية.
الثاني: المسؤولون الحكوميون المدعومون من شركات تصنيع الاسلحة.
الثالث: اعضاء مجلسي النواب والشيوخ عن الولايات المستفيدة من شركات الانتاج العسكري.

ويضاف إلى هؤلاء جيش ضخم من العاملين في المؤسسات العسكرية ومصانع السلاح، فقد اعتمدت الولايات المتحدة على الانفاق العسكري لتحصيل مردود اقتصادي يتأتى من مبيعات الاسلحة، وهي تجارة تنشط مع تصاعد الصراعات المسلحة في العالم. كما أن الصناعات الحربية تمثل قطاعاً واسعاً من قطاعات الاقتصاد الأميركي، إذ يعمل واحد من كل ستة عشر عاملاً امريكياً بشكل مباشر ضمن البيئة الحربية الصناعية لكسب معاشه، بل أن بعض الولايات الكبيرة مثل كاليفورنيا والتي بلغ تعداد نفوسها في عام ٢٠١٢ اكثر من ٣٨ مليون نسمة تعد الوظائف المرتبطة بأغراض الدفاع فيها اكبر مصدر للدخل الفردي في حين يعمل نحو ٢٥% من المهندسين والعلماء الأميركيين في وظائف لدى وزارة الدفاع^(٣١).

وساهمت ثورة المعلومات في تعزيز الصناعات العسكرية، فوجدت المؤسسة العسكرية الأميركية أن أفضل سبيل لبقائها وازدهارها يمكن أن يمر عبر برامج تطوير الأسلحة والقوات العسكرية نوعياً بالإفادة من ثورة المعلومات، والتطور الحاصل في ميدان الاتصالات والمعرفة العلمية. وتوجد في الوقت الراهن ١٦ شركة مقرها الولايات المتحدة من ضمن اكبر مئة من شركات للخدمات العسكرية في العالم بلغ إجمالي مبيعاتها ٤٧ مليار دولار في عام ٢٠١١، وثلاث شركات أميركية أخرى مقرها المملكة المتحدة، ويبلغ إجمالي مبيعاتها ٦,٦ مليار دولار، وشركة واحدة في الكويت تبلغ مبيعاتها ١,٣ مليار دولار^(٣٢). وتجاوزت نشاطاتها الصناعات العسكرية إلى التوغل في جميع أنواع الاستثمارات، وتداخلت الصناعات الحربية مع احدث

تقنيات الاتصال وثورة المعلوماتية. فما أن انتهت الحرب الباردة حتى وجد المخططون الإستراتيجيون في الولايات المتحدة أن أهم ميادين معارك المستقبل هي تقنيات الاتصال وأنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تعمل على تطوير إستراتيجية شاملة للمعرفة ما لم تقم بترتيب ادواتها الاستخبارية، إذ إنها لا بد من أن تواجه صعوبات مع وسائل الإعلام في وقت يرفض فيه المجتمع الأميركي سيطرة الدولة على المعلومات. وظهرت شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) عنصراً من عناصر تفعيل النشاط العسكري والسياسي، وكانت شبكة الانترنت قد أنشئت في الأصل لخدمة وزارة الدفاع الأميركية، وتحديدًا لأغراض ربط عدد من الجامعات الأميركية ومراكز البحوث التي تنفذ عدداً من المشاريع لحساب الحكومة، في أواسط الستينات من القرن الماضي، ثم توسعت بشكل كبير، وانتقلت إدارتها إلى القطاع الخاص^(٣٣).

وفي حملة عام ٢٠٠٠ الرئاسية كان ميل رأس المال الانتخابي لصالح الديمقراطيين بنسبة ٣ إلى ٢ للجمهوريين وكانت صناعات الترفيه أيضاً مؤيدا قويا للحزب الديمقراطي، بينما حصل الجمهوريون على ثلث المساهمات المالية من صناعة الأسلحة و٨٠% من المساهمات من صناعات النفط والغاز والزراعة. وعكست هذه الحال الأولويات المختلفة للجمهوريين الذين فكروا بالعودة من منطلق عسكري لا اقتصادي، وأصبح الحزب الجمهوري حزب الرأسمالية المرتبطة بالشؤون العسكرية، ومع نهاية القرن العشرين أصبح ما سماه الرئيس أيزنهاور قبل أربعين عاماً بـ "المركب العسكري- الصناعي" عاملاً انتخابياً حيوياً للحزب الجمهوري، وافراد القوات المسلحة هم محافظون وجمهوريون بشكل متفاوت، بينما يتجه الضباط المتقاعدون للعمل في شركات لصالح متعهدين آخرين في مجال الدفاع، بما في ذلك لوكهيد مارتن، ورايشيون، وجنرال داينامكس، ومارتن ماررييتا. أما زبائن هؤلاء الرئيسيون فهم الحكومة الأميركية وحلفائها واسرائيل. ولكون هذه الشركات خاصة وإن عملت امتداداً للحكومة، فإن ذلك يسمح لها بتمويل السياسيين من خلال مساهمات مالية في الحملات الانتخابية وبممارسة الضغوط على صانعي القرار السياسي^(٣٤).

وهكذا كان لقاء العسكر مع المؤسسة الصناعية واستخدامهم للمؤسسات الفكرية والبحثية وتوسع نشاطهم في الاتجاهات كافة فرصة لجميع الأطراف للتأثير في القرارات الإستراتيجية للدولة الأميركية ليس فقط على صعيد شن الحروب لتسويق البضاعة العسكرية وإنما أيضاً في إيجاد منافذ وإضافات للصناعات العسكرية للإبقاء على الأسواق الواسعة ومواصلة التأثير واستمرار الدور العالمي للولايات المتحدة الأميركية.

المبحث الثالث

الأسلحة الأميركية في سوق العرض والطلب

اعتمدت الولايات المتحدة على الإنفاق العسكري لتحصيل مردود اقتصادي يتأتى من مبيعات الأسلحة، وهي تجارة تنشط مع تصاعد الصراعات المسلحة في العالم، ومع إمكانية المعنيين من تسويق الأزمات والتخويف لبيع تلك البضاعة.

أما عمليات البيع فتتخذ آليات عدة أهمها خمس أساسية يتم عبرها نقل الأسلحة الأميركية إلى بلدان أخرى، وأكثر تلك الآليات شيوعاً المبيعات العسكرية الخارجية، التي تشمل الصفقات بين الحكومات والمبيعات التجارية المباشرة، التي يتم التفاوض عليها مباشرة بين الشركات الأميركية والمشتريين الأجانب. والآليات الثلاث الأخرى هي تأجير التجهيزات العسكرية وتحويل البنود الدفاعية الفائضة والسحوبات الطارئة من مخزونات وزارة الدفاع. وتصدر الولايات المتحدة ما قيمته ٢٠ مليار دولار من السلع والخدمات الحربية عبر هذه السبل سنوياً^(٣٥) وعلى الرغم من تعدد الدول المصنعة للأسلحة وتنافسها على الحصول على أفضل الصفقات فإن الولايات المتحدة انفردت ولوقت طويل بنصيب كبير في أسواق بيع السلاح ويتجاوز نصيبها ما نسبته ١١% من قيمة إجمالي تجارة الأسلحة العالمية^(٣٦).

وقد تطورت سوق السلاح الأميركية بشكل كبير فبعد أن كانت محصورة في التجهيزات المتعلقة بالحروب فقد اتخذت منح أخرى وباتت سوق الصناعات العسكرية تشمل السلاح المتطور والسلاح التقليدي، والخدمات العسكرية، والتكنولوجيا الحديثة، وسوق الاتصالات والمعلوماتية. حيث تشكل صناعة الأسلحة والإنتاج الحربي ما نسبته ٤٠% من إجمالي الإنتاج الصناعي الأميركي^(٣٧).

وعلى الرغم من الأزمة الاقتصادية التي أرقت المسؤولين الأميركيين منذ سنوات فإن سوق بيع وشراء الأسلحة لم تتأثر، بل أن صناعة السلاح الأميركي باتت الجناح الممول الأول للاقتصاد الأميركي والمسؤولون الأميركيون في تصريحاتهم لوسائل الإعلام يمولون سوق بيع الأسلحة أكثر من ذي قبل اعتماداً على دعايات يأتي على رأسها التهديد النووي، والتفوق الإقليمي لإيران ومحاربة الارهاب.

وفي عملية تسويق الأسلحة تتداخل الخطط الإستراتيجية مع معطيات أسواق الطاقة والنشاطات السياسية، ولأن مبيعات السلاح وما يرتبط بها من خدمات تمثل نشاطاً قومياً وليس مجرد جهد للشركات الخاصة، فإن المسوقين للسلاح باتوا من السياسيين قبل العسكريين، وتبدو عملية إثارة الأزمات من الجانب الأميركي في المنطقة العربية مثلاً، ضمن برنامج مخطط لحل الأزمة الاقتصادية من خلال إنعاش السوق الأميركي.

ويحتل السلاح الأميركي مكانه في أسواق اغلب دول العالم، فالشركات الأميركية تورد السلاح إلى شمال إفريقيا وجنوبها، وإلى دول الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، وإلى دول آسيا واورقياوسيا وإلى أوروبا ومنطقة الشرق الأوسط، كما تبيع السلاح للمنظمات الدولية، وحصّة الدول الآسيوية هي الأعلى. وكانت الولايات المتحدة أكبر مورد للسلاح التقليدي بين عامي ٢٠٠٧ و ٢٠١١، إذ استحوذت على ٣٠% من جميع الصادرات العالمية، واشتملت تلك الصفقات على طائرات متقدمة لكوريا الجنوبية ولأستراليا، كما ركزت الإدارة الأميركية على السوق الآسيوية والهندية منها بشكل أكبر. فضلاً عن ذلك تشغل منطقة الشرق الأوسط اهتمام الإدارة الأميركية التي تعد أن صادرات الأسلحة لها وخاصة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية جزءاً من السياسة الأمنية الأميركية، كما ترى في تلك المبيعات فرصة لدفع الاقتصاد الأميركي إلى امام بما يعود عنها من إيرادات على الصناعة الأميركية^(٣٨)، وتعدّ المملكة العربية السعودية أكبر مشتر للسلاح الأميركي، إذ تقدمت المملكة في عام ٢٠١١ بطلب لشراء ١٥٤ طائرة من طراز F-15SA. وصرحت الحكومة

الأميركية بأن تلك الصفقة ستدعم أكثر من ٥٠,٠٠٠ وظيفة أميركية وتوفر ٣,٥ مليار دولار للاقتصاد الأميركي سنوياً^(٣٩).

وهكذا تراكمت الأزمة المالية في الولايات المتحدة ومحاولات الخروج منها مع مضاعفة المسؤولين الحديث عن "تثبيت حائط الدفاع الصاروخي في منطقة الخليج العربي"، ليمكنوا من فرض هيمنتهم على المنطقة، فضلاً عن الفوائد الناتجة من بيع الأسلحة الأميركية المتطورة، بحيث تتسابق الأطراف العربية على شراء أكثر الأسلحة الأميركية تطوراً.

وقد بلغت قيمة مبيعات السلاح الأميركية في العام ٢٠١١ ثلاثة أمثال ما كانت عليه في عام ٢٠١٠، بما قيمته ٦٦,٣ مليار دولار، في سوق أسلحة عالمية وصل إجمالي قيمته إلى ٨٥ مليار دولار، بينما كانت قيمتها ٢١,٤ مليار دولار في عام ٢٠١٠، و٣١ مليار دولار في عام ٢٠٠٩ استناداً إلى استقصاء قام به الكونغرس الأميركي. وأوضح الموقع الإلكتروني لصحيفة "نيويورك تايمز" الأميركية أن عقد صفقات بيع طائرات مقاتلة وأنظمة صواريخ دفاعية للسعودية والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان، أسهم بشكل كبير في الزيادة الكبيرة التي شهدتها مبيعات السلاح الأميركية. علاوة على ذلك، اتفقت الولايات المتحدة على هدف سياسي مع حلفائها العرب في الخليج يتمثل في إنشاء منظومة دفاع صاروخية إقليمية لحماية المدن ومصافي النفط وأنابيب الغاز والقواعد العسكرية من أي هجوم عسكري إيراني محتمل^(٤٠).

ويرى الكثير من المراقبين أن الولايات المتحدة تستغل التوترات في المنطقة العربية، وإيهام الدول العربية بقرب اندلاع الحروب وضرورة تأمين نفسها، لبيع كميات كبيرة من السلاح الموجود في مخازنها، مشيرين إلى أن هذه الأسلحة تكون أردء من الأسلحة التي تبيعها الولايات المتحدة أو تمنحها للكيان الصهيوني وحلفائها المقربين.

لقد كان نمو صناعات الخدمات العسكرية إحدى الظواهر البارزة في الإنتاج الحربي الأميركي في السنوات الأخيرة، ويقصد بالخدمات العسكرية تلك الخدمات الخاصة بالجيش مثل البحث والتحليل والخدمات التقنية، والدعم التشغيلي. وفي عام ٢٠١٠ استأثر الإنفاق

السني لوزارة الدفاع على الخدمات - بما فيها الخدمات غير العسكرية- على نصف مبلغ الـ ٤٠٠ مليار دولار الذي انفق على المشتريات، وهو منحى نشط من اجل أن تتحول الشركات المنتجة للأسلحة إلى الخدمات العسكرية، وهذا التحول كان جزءا من استراتيجيات المحافظة على المبيعات تحسبا لخفض برامج التسليح من جهة، وأيضا من اجل أن تتوجه الشركات لاستغلال الجهود الحكومية العامة الرامية إلى خفض التكاليف، ولحماية نفسها من خفض المشاريع الذي يعد وسيلة للمحافظة على عافية الصناعات العسكرية وللإستفادة من الرغبة العامة للحكومة في خفض عدد البرامج الجديدة وتمديد الخدمة الداخلية للبرامج القائمة^(٤١). وعلى صعيد المبيعات بلغت المبيعات العسكرية لعشرين شركة أمريكية صنفت ضمن لائحة الشركات المئة الكبرى، بلغت ٥٥ مليار دولار. ينظر جدول رقم (٣)

جدول رقم (٣) مبيعات الشركات الأميركية للخدمات العسكرية في عام ٢٠١٠

التصنيف ضمن الشركات المنة الكبرى	الشركة	البلد	مبيعات الخدمات العسكرية (بملايين الدولارات)
٩	ال-٣ كوميونيكيشن	الولايات المتحدة	١٠٣٧٠
١٢	اس.ايه.اي. سي	الولايات المتحدة	٨٢٣٠
١٤	كومبيوتر ساينسز كورب	الولايات المتحدة	٥٩٤٠
٢٣	كي. بي. ار	الولايات المتحدة	٣٣١٠
٢٩	بابكوك انترنشيونال غروب	الولايات المتحدة	٢٧٧٠
٣٢	هيوليت باكارد	الولايات المتحدة	٢٥٧٠
٣٣	مان تك انترنشيونال غروب	الولايات المتحدة	٢٤٩٠
٣٨	دينكورب انترنشيونال	الولايات المتحدة	٢٣٩٠
٣٩	سي.ايه.سي.اي. انترنشيونال	الولايات المتحدة	٢٣٢٠
٤٣	سيركو	المملكة المتحدة	٢١٣٠
٥٠	كلينك	المملكة المتحدة	١٧٣٠
٥٨	اجيليبي	الكويت	١٣١٠
٥٩	فلور	الولايات المتحدة	١٣٠٠
٦٧	جيكوبز انجينيرنج غروب	الولايات المتحدة	١٠٢٠
٧٨	شو غروب	الولايات المتحدة	٨١٠
٨١	كيوبيك كورب	الولايات المتحدة	٨١٠
٨٦	اليون ساينس اند تكنولوجي	الولايات المتحدة	٧٧٠
٨٨	ميتر	الولايات المتحدة	٧٤٠
٩٣	في. اس. أي. كورب	الولايات المتحدة	٦٨٠
٩٨	ايه.ايه.ار. كورب	الولايات المتحدة	٦٥٠

المصدر: سوزان ت. جاكسون، إنتاج الأسلحة والخدمات العسكرية، التسليح ونزع السلاح والأمن الدولي، سيري ٢٠١٢، ترجمة مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٣١٦ و ٣١٧ (تم التصرف بالجدول باختزال بعض المعلومات غير الضرورية)

وعلى الرغم من القيود التي تضعها القوانين الأميركية حول بيع الأسلحة للدول التي تعاني من اضطرابات سياسية، فإن الولايات المتحدة أعلنت أنها تراجع سياستها في هذا المجال مع الدول العربية التي شهدت تغييرات سياسية خلال الأعوام الثلاثة الماضية، ولكنها في الوقت ذاته وجدت تبريرات للمحافظة على علاقات عسكرية قوية بمصر وواصلت في عام ٢٠١١ شحن الأسلحة إليها ووافقت على بيع مصر ١٢٥ دبابة، كما وقع الرئيس الأميركي باراك أوباما قانوناً يقضي بمنح مصر نحو ١,٣ مليار دولار بموجب برنامج التمويل العسكري الخارجي للعام ٢٠١٢ مشدداً على الأهمية الإستراتيجية للعلاقات الأميركية المصرية وأن الجيش المصري قام بدور داعم للاستقرار في هذه المرحلة. والأمر حدث ما يماثله مع البحرين فمع إعلان الولايات المتحدة في شباط/فبراير ٢٠١١ أنها بصدد مراجعة اجازة تصدير الأسلحة إلى البحرين، فإن وزارة الدفاع الأميركية ما لبثت أن أعلنت في أيلول/سبتمبر عن خطة لبيع ٤٤ مدرعة خفيفة للبحرين مزودة بصواريخ مضادة للدبابات، تحت ذريعة لزوم تلك الاسلحة لمواجهة المخاطر الخارجية التي تحيط بالبحرين ولاسيما تلك التي مصدرها ايران^(٤٢).

الخاتمة

مثل الاقتصاد الأميركي الدعامة الأساسية من دعومات القوة السياسية والعسكرية في مراحل عدة، بل أن هذه القوة كادت أن تطغى على معطيات البيئة الدولية في القرن العشرين وما زالت تأثيراتها واضحة في القرن الحادي والعشرين، بينما تأمل الولايات المتحدة تطويع العالم هيمنتها الاقتصادية خلال القرن الحالي، مستعينة بقوتها العسكرية وامكاناتها الهائلة في التأثير في مجريات الاحداث العالمية أو ما يجب بعض الأميركيين وصفه بـ"صناعة التاريخ". وتطرح السياسات الأميركية وخاصة في جانبها العسكري والاقتصادي العديد من التساؤلات، وفي مقدمتها التساؤل حول من يدعم من؟ هل هو الاقتصاد القوي الذي يقف وراء تقوية الدعومات العسكرية للدولة الأميركية أم أن الولايات المتحدة تستغل امكاناتها العسكرية المتفوقة في ادامة ريادةها الاقتصادية العالمية وفتح الطريق امامها للحصول على المكاسب الاقتصادية عبر استخدام القوة العسكرية؟ وتؤكد الوقائع إلى أن القوة العسكرية لا تؤدي إلى القوة الاقتصادية بل العكس هو الصحيح، وإذا ما أريد لدولة ما أن تكون قوة عسكرية عظيمة فينبغي أن تمتلك قاعدة اقتصادية ناجحة.

وتشير مجريات العلاقة بين الإنفاق العسكري والنمو الاقتصادي بشكل عام إلى أن زيادة الإنفاق العسكري لأغراض دفاعية غالباً ما نجم عنه تباطؤ اقتصادي، وربما كان الترهل الذي أصاب الإمبراطوريات القديمة بفعل مغامراتها العسكرية والرغبة في التوسع على الأرض سبباً في زوال تلك الإمبراطوريات، إلا أن الولايات المتحدة تنفرد في كونها عدلت من هذه المعادلة وحولت الإنفاق العسكري إلى مجال أساسي للتنمية الاقتصادية، وصارت تعالج مشكلات اقتصادها بالافتحاح العسكري واستخدام الإنفاق العسكري بطريقة الاستثمار وتقديم خدمات حرب مدفوعة الثمن.

كما أدت المغامرات العسكرية الأميركية إلى فتح المجال أمام حل مشكلة البطالة مع اتساع الحاجة لتوظيف الشباب في العمليات العسكرية وبفعل زيادة مبيعات السلاح التي كانت الحروب بمثابة عمل دعائي لها.

والولايات المتحدة الأميركية بوصفها أكبر البلدان المصدرة للأسلحة، فإن المبيعات العسكرية الخارجية لا تساعد فقط على توسيع النفوذ السياسي، بل تكون أيضاً بديلاً عن الوجود العسكري الأجنبي المباشر. فعلى الرغم من التكاليف العالية للمعدات أميركية الصنع، إلا أن حصتها في السوق تتوسع عاماً بعد عام، وحتى في السنوات القليلة الماضية عندما تقلصت سوق الأسلحة على الصعيد الدولي، فإن مكانة الولايات المتحدة الأميركية الدولية جعلت مبيعاتها من الأسلحة في ارتفاع مستمر. وتقدم الصناعات العسكرية في الولايات المتحدة نموذجاً فريداً للعلاقات التبادلية بين المؤسسات التنفيذية والتشريعية والمؤسسة العسكرية، كما أن تطور صناعة السلاح رافقته تطورات في ميادين أخرى، ولاسيما على صعيد وضع الخطط الإستراتيجية والدراسات، إلى جانب تنشيط البحث والتطوير، في مجالات التقنية والعلوم المختلفة، وفي إيجاد فرص عمل واسعة وفي التنمية الاقتصادية. وقدمت الأزمة المالية في الولايات المتحدة فرصة للصناعات العسكرية في إنقاذ الاقتصاد وتقديم فرص لمواجهة الأزمة، ليس فقط عبر زيادة الإنفاق العسكري وإنما عبر توسيع سوق السلاح الأميركي وإيجاد منافذ جديدة لتسويقه وتطوير الإنتاج.

الهوامش

- (١) ليستر ثرو، المتناطحون، ط٢، ترجمة محمد مزيد، دار الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي ١٩٩٦، ص ٢١٥.
- (٢) اليزابيث سكونز، وويي اوميتوغن، كاتالينا برودومو، بيتر ستالنهايم، الانفاق العسكري، من بحوث كتاب التسليح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠٠٥ ط١، ترجمة مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٤٧٠.
- (٣) يرجع تاريخ الدين الأمريكي إلي عام ١٩١٧م، أي قبل الحرب العالمية الأولى، عندما قامت الحكومة الفيدرالية بوضع قانون للحد أو السقف لقيمة سندات الحرية، والتي قامت بإصدارها لتمويل الولايات المتحدة للدخول في الحرب العالمية الأولى. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية زادت نسبة الدين الأمريكي لتصل إلي ١٢١.٧% في عام ١٩٤٦م، ولكن استطاعت الولايات المتحدة التعامل مع هذا الدين وتخفيضه تدريجياً، حتى وصل إلي نسبة ٣٢.٥% في نهاية عام ١٩٨١.
- (٤) محمد إبراهيم السقا، الدين العام الأمريكي، صحيفة الاقتصادية، الرياض (المملكة العربية السعودية)، في ٢٢ يوليو ٢٠١١ العدد ٦٤٩٣.
- (٥) *Richard N. Haass, The Age of No polarity : what will follow U.S Dominance, Foreign Affairs, May/June 2008, ForeignAffairs.com*
- (٦) في حديث لوزير الدفاع الاميركي روبرت غيتس امام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ، في ٢٧/١/٢٠٠٩، نقلاً عن: سام بيرلو. فريمان، كاتالينا برودومو، اليزابيث سكونز، بيتر ستالنهايم، الانفاق العسكري، من بحوث كتاب: التسليح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠٠٩، معهد ستوكهولم لأبحاث السلام، ترجمة مركز الوحدة العربية، ص ٢٧٦.
- (٧) *The White House, Office of the Press Secretary, For Immediate Release January 05, 2012, Remarks by the President on the Defense Strategic Review.*
- (٨) *Ibid*
- (٩) سام بيرلو. فريمان، كاتالينا برودومو، اليزابيث سكونز، بيتر ستالنهايم، الانفاق العسكري، من بحوث كتاب: التسليح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠٠٩، معهد ستوكهولم لأبحاث السلام، ترجمة مركز الوحدة العربية، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(10) *The White House, Office of the Press Secretary, For Immediate Release January 05, 2012, Remarks by the President on the Defense Strategic Review.*

(١١) جون ستيل جوردون، امبراطورية الشروة ج٢، ترجمة محمد مجد الدين باكير، عالم المعرفة العدد ٣٥٨، ديسمبر ٢٠٠٨، ص ١٨٣-١٨٤.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٨٦.

(١٣) اندرو باسيفيتيتش، الامبراطورية الأمريكية، ترجمة مركز التعريب والبرمجة (بيروت) الناشر الدار العربية للعلوم، ط ١ بيروت، ٢٠٠٤.

(١٤) المصدر نفسه.

(15) *Richard L. Wilson, American Political Leaders, U.S , Facts on File, INC, 2002, pp 126-127.*

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٨٦.

(١٧) جون ستيل جوردون، امبراطورية الشروة ج٢، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٧-١٨٨.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٩٠.

(١٩) محمد حسنين هيكل، الامبراطورية الأمريكية والاغارة على العراق، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٣، ص ٢٦٢.

(٢٠) نقلا عن: ستيف فرايزر و غاري غرستل، الطبقة الحاكمة في امريكا، الدار العربية للعلوم ومكتبة مدبولي، ترجمة حسان البستاني، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٢٨٥.

(٢١) شاهر اسماعيل شاهر، اولويات السياسة الخارجية الأمريكية بعد احداث ١١ ايلول ٢٠٠١، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ٢٠٠٩، ص ٢٦٠.

(٢٢) ستيف فرايزر و غاري غرستل، الطبقة الحاكمة في امريكا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٦.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

(٢٤) اندرو باسيفيتيتش، الامبراطورية الأمريكية، ترجمة مركز التعريب والبرمجة (بيروت) الناشر الدار العربية للعلوم، ط ١ بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢١٩.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.

(٢٦) دنيس روس، فن الحكم كيف تستعيد اميركا مكانتها في العالم، دار الكتاب العربي، بيروت. لبنان ٢٠٠٨، ص ٢٣.

- (٢٧) اندرو باسيفيتيتش، الامبراطورية الأمريكية، ترجمة مركز التعريب والبرمجة (بيروت) الناشر الدار العربية للعلوم، ط ١ بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢٧٥.
- (٢٨) المصدر نفسه،، ص ٣٠٧-٣٠٨.
- (٢٩) المصدر نفسه.
- (٣٠) اسيا الميهي، الرأي العام في السياسة الخارجية الامريكية، مجلة السياسة الدولية، مركز الاهرام للدراسات والبحوث الاستراتيجية، العدد ١٢٧ في ١٩٩٧، ص ٨٩.
- (٣١) المصدر نفسه.
- (٣٢) سوزان ت. جاكسون، صناعة الخدمات العسكرية، من بحوث كتاب: التسليح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠١٢، معهد ستوكهولم لأبحاث السلام، ترجمة مركز الوحدة العربية، ص ٣١٥.
- (٣٣) انظر هلال عبود البياتي " الانترنت والاستخدام الاميركي، مجلة افاق عربية، العدد ٩/١٠ لسنة ١٩٩٨، ص ٢٧.
- (٣٤) ستيف فرايزر و غاري غرستل، الطبقة الحاكمة في امريكا، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠٥.
- (٣٥) ماتيو شرودر، راشيل شتول، الضوابط الاميركية على الصادرات، من بحوث كتاب التسليح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠٠٥، ص ١٠١٠.
- (٣٦) وليد عبد الحفي، "المكانة المستقبلية للولايات المتحدة على سلم القوى الدولي" مجلة السياسة الدولية، العدد ١٢٦ لسنة ١٩٩٦. ص ٢٤.
- (٣٧) عدنان مناتي، الابعاد الاقتصادية الامريكية في صراع المصالح الدولية وفاق المستقبل، مجلة ام المعارك العدد ٢ لسنة ١٩٩٥، ص ٧٠.
- (٣٨) للحصول على تفاصيل رقمية مفصلة يمكن الرجوع إلى : بول هلتوم، مارك برزمللي واخرون، التطورات التي شهدتها نقل الاسلحة في سنة ٢٠١١، التسليح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠١٢، ص ٣٥٨.
- (٣٩) بول هلتوم، مارك بروملي واخرون، التطورات التي شهدتها نقل الاسلحة في سنة ٢٠١١، التسليح ونزع السلاح والامن الدولي، الكتاب السنوي ٢٠١٢، ص ٣٥٧.

- (٤٠) مجلة الاقتصادية، دراسة: السعودية من أكثر الدول شراءاً للأسلحة الأمريكية العام الماضي، المملكة العربية السعودية، الرياض، العدد ٦٨٩٦، ٢٨ أغسطس ٢٠١٢.
- (٤١) سوزان ت. جاكسون، انتاج الاسلحة والخدمات العسكرية، سييري ٢٠١٢، ص ٣١٤، ٣١٣.
- (٤٢) مارك بروملي، بيتر د. ويزمان، سياسات تصدير الاسلحة إلى الدول المتأثرة بالربيع العربي، سييري ٢٠١٢، ص ٣٧٥ و٣٧٦.

*US arms industry and The global financial crisis**Assistant professor. Dr. Khawther Abbas Abd Al- Rubaiy**Center for Strategic and International Studies - Baghdad University**Abstract*

US policies, especially in military and economic aspects put many questions, first and foremost is the question of who is supporting whom? Is it the strong economy, which lay is behind the strengthening of the US military pillars of the state, or that the United States take advantage of the superior military capabilities in the perpetuation of global economic leadership, opening the way for it to obtain economic gains through the use of military force ?

The facts confirm that the United States as the largest arms exporting countries, are used not only to expand its political influence, but also to be a substitute for direct foreign military presence foreign military sales. Despite the high cost of American-made equipment, but the market share is expanding year after year, sales of weapons and even in the past few years when the arms market shrunk at the international level, the standing of the United States of America made international continues to rise.

Military industries in the United States offers a unique model for relations of reciprocity between the executive and legislative institutions and the military, as the evolution of the arms industry, accompanied by developments in other fields, particularly at the level of the development of strategic plans and studies, as well as stimulating research and development, technical and various science fields, and in finding wide job opportunities and economic development. The financial crisis in the United States military has provided an opportunity for industries to save the economy and provide opportunities to address the crisis, not only by increasing military spending, but through the expansion of the US arms market and find new outlets for marketing and production development.